# أرض كنعان عشيّة انهيار حضارات البرونز الخروج وحروب الاستيطان بين الموروث الكتابي وعلم الآثار

**الباحث: شعيب محمد الحسن – كلية الآداب – جامعة تشرين**

**ملخص:**

بدأ النّقد العلمي لروايات التوراة في وقتٍ لم يكن واضحًا بعد أن التاريخ اليهودي يمكن أن يكون مادة علمية قابلة للبحث أساساً، فقد يبدو لكثير من المؤرخين أن الجزء المهم من التاريخ اليهودي انتهى مع التوراة، ولم يتبقَّ سوى سيرة طويلة من المعاناة والشتات.

ومع ذلك، لا نستطيع أن نبدأ من قصص الآباء موسى ويشوع كنقطة انطلاق للتاريخ العبراني، لسبب بسيط هو أن التاريخ العبراني لم ينفصل بعد عن القراءة الدينية، ومن المؤكد أن الوثائق التي تؤيد تاريخانية قصص الآباء لم يُعثَر عليها، فضلاً عن أن قصصهم مليئة بأشياء لم يكن من الممكن حدوثها، كانهدام أسوار أريحا ووقوف الشمس في كبد السماء وغيرها من سرديّات لا تخلو من المبالغة والخرافة فيما يسمى اصطلاحاً الخروج من مصر واستيطان العبرانيين في أرض كنعان، ويعرض المقال رأي علم الآثار وعلم التاريخ في الموروث الكتابي المستند إلى العهد القديم؛ ويدقق فصلة من سرده الطويل فيما روى عن الدين والتاريخ.

**كلمات مفتاحيه:** العبرانيون – كنعان – اليهود – العهد القديم – يشوع بن نون– المؤرخون– الاستيطان – أريحا جبعون– اليبوسيون – إسرائيل – مصر– الآشوريون – البابلي.

# The land of Canaan on the eve of the collapse of the bronze civilizations
# The Exodus and the settlement wars between the biblical heritage and archaeology

**summary**

Scholarly criticism of the Torah narratives began at a time when it was not yet clear that Jewish history could be a fundamentally researchable scientific subject. It may seem to many historians that the important part of Jewish history ended with the Torah, and all that remained was a long history of suffering and diaspora.

However, we cannot start from the stories of the patriarchs Moses and Joshua as a starting point for Hebrew history, for the simple reason that Hebrew history has not yet been separated from religious reading, and it is certain that documents that support the historicity of the stories of the patriarchs have not been found, in addition to that their stories are full of things that were not It was not possible for it to happen, such as the demolition of the walls of Jericho, the sun standing in the middle of the sky, and other narratives that are not free of exaggeration and myth about what is technically called the Exodus from Egypt and the settlement of the Hebrews in the land of Canaan. The article presents the opinion of archeology and history regarding the biblical heritage based on the Old Testament. A section of his long narrative examines what he narrated about religion and history .

**مقدمة:**

يُوصفُ التاريخ العبراني بأنه «تاريخ العبيد». هل هذا أصدقُ ما يقال عن جماعة ترى في نفسها شعب الإله المختار؟ وبالتالي هل يمكن أن يكون هناك تاريخ للعبيد ؟

لم تكن اليهودية اسم لشعب بعينه بل إنه اسم الدين: نظام المعتقدات والممارسات والطقوس الشعائرية، لذا يُفترضُ أن تبدأ القصة اليهوديّة من إبراهيم صاحب الوعد الإلهي بامتلاك أرض كنعان، ومن ثم موسى المشرّع الذي تلقّى وصايا الإله يهوه في جبل سيناء، ربما يكون هذا التأسيس المزدوج من قبل إبراهيم و موسى، كشعب وكمعتقد هو المفتاح لاستمرارية اليهود في التاريخ.

ولكن يتوجّب على المؤرخ أن يجد نقطة انطلاق موثّقة في الأدلة غير الكتابية، وأن يعمل من هذا المنطلق على فصل الذاكرة اليهودية عن التاريخ اليهودي.

واستناداً إلى رؤية هيجل للتاريخ فإنه لكل حضارة إسهاماتها في تكوين التاريخ الإنساني، وإذا ما أدّت دورها انهارت حتما، مفسحة المجال للمرحلة التالية، والسؤال هو هل نستطيع أن ندرس التاريخ العبراني من هذا المنظور بصفته حضارة كان لها هويّتها وكيانها و جغرافيّتها الخاصة؟ هل ينطبق هذا على تاريخ العبرانيين كحضارة نشأت في زمن غابر وازدهرت ثمّ بادت؟ مع الأخذ بعين الحسبان الخصوصية في تاريخ اليهود، إذ أنهم على خلاف الحضارات القديمة التي اندثرت ما يزال هناك يهود يعتنقون نفس العقيدة التي كان عليها أسلافهم منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، وأن دراسة تاريخهم تنطوي على كثير من التعقيدات والتداخلات بين الديني والسياسي، وأن الوظيفة التاريخية لليهودية لم تتوقف بعد.

ربما يكون هذا التطور المستمر لمعنى التاريخ اليهودي هو الإشكال الأصعب في دراسة هذا التاريخ، في وقت لم يطالعنا علم الآثار بنتائج تؤكد رواية العهد القديم، ولم يتخلّص المؤرخون بعد من طغيان الرواية التوراتية، ولا من رؤى الصهيونية الحديثة؛ واللّوم الأكبر يقع على المؤرخين العرب، إذ تمثّلت كتاباتهم عن تاريخ فلسطين بتبني الموروث الكتابي " الإسرائيليّات " الذي يؤكّد روايات التوراة من جهة ويسهم في إسكات التاريخ الفلسطيني من جهة أخرى.

**أسباب اختيار الموضوع**

– افتقار التاريخ العبراني إلى مصادر موضوعية لأن أغلب المصادر والمراجع التي كتبت في هذا الموضوع كانت تتبنى أيديولوجيا دينيّة ساهَمت في تشويه التاريخ الفلسطيني، وأثّرت سلباً على الحقيقة التاريخية.

– الرغبة في الاطّلاع على نتائج الكشوفات الأثرية في فلسطين، بعيداً عن الرؤى الدينية الضيقة.

**إشكاليّة البحث**

يتعيّن على الباحث في التاريخ تحديد إشكالياته، وتفنيد التساؤلات التي تستوقفه، كخطوة أولى في كتابة بحث علمي، ومن أبرز هذه الإشكاليات:

- ماهي حقيقة الغزو العبراني لأرض كنعان، هل حدث هذا حقاً؟
- إلى أي مدى ساهم الأثريون التوراتيون في اختلاق تاريخ مزيف لفلسطين؟

- وهل استطاع علم الآثار الحديث أن يصحّح مسار عملية إعادة البناء التاريخي؟
- ماذا تخبرنا المصادر المسمارية عن تاريخ العبرانيين بشكل عام؟
- متى تتخلّص الكتابة التاريخية من طغيان القصص الديني والخيال التاريخي؟

**منهج البحث**

**أولا- المنهج الوصفي** استخدم هذا المنهج بشكل خاص عند عرض الأخبار المستمدة من المصادر الدينية التي تتضمن أخبار الملوك والمعارك وغيرها من الوقائع.

**ثانيا- المنهج التحليلي** يعتمد على تفكيك العناصر الأساسية للموضوعات قيد البحث، ودراستها بشكل تفصيلي، وعلى ضوء هذه الدراسة يتمكن الباحث من تعليل الأحداث والوصول إلى تعميمات تشكُل وجهة نظره في موضوع البحث،

**ثالثا- المنهج المقارن** وهو المنهج الأهم في دراسة التاريخ العبراني لما فيه من تناقضات وإشكاليات، ومقارنتها ببعضها البعض كالمقارنة بين الروايات التوراتية ونتائج الكشوف الأثرية.

**صعوبات البحث**

- يواجه الباحث في تاريخ العبرانيين مشكلة مهمّة وهي البعد عن مسرح الأحداث المفترضة، وعدم القدرة على معاينة الآثار أو اللّقى المعروضة في المتاحف وذلك بسبب الوضع السياسي في فلسطين.

- اعتمدت الدراسات العربية منها والأجنبية بغالبها على المصادر الدينية وفي مقدّمتها التوراة، فيجد الباحث نفسه أمام مادة خبرية ضخمة تتشابه بشكل يصعّب عليه تنويع موارده.

**أهم مصادر البحث و مراجعه:**

**أولاً– العهد القديم" التوراة"** وقد تم تأليف أسفار العهد القديم على مراحل بدءاً من القرن الثامن قبل الميلاد في مملكة يهوذا و في فترة السبي البابلي، لقد تمّ تدوين التوراة بشكل يتلاءم مع المعطيات السياسية في مرحلة التدوين، ولم يغفل محررو التوراة عن قصص الوحي والمعجزات، وبذلك أصبحت قراءة التاريخ من المصدر التوراتي جزءاً لا يتجزأ من القراءة الدينية.

**ثانياً: النصوص المسمارية** تنوّعت النصوص من حيث أماكن وجودها فمنها ما عُثر عليه مصنّف في القصور الملكية كالرّقم الطينيّة في إيبلا وماري، ومنها على شكل نقوش عامة أو على التماثيل الملكية، أو مرافقة للأعمال الفنية التصويرية كتعليقات على المشاهد المنحوتة مثل الجداريّات، إذ تناولت بمعظمها أعمال الملوك العسكرية كما تناولت إنجازاتهم العمرانية، وكانت تكتب هذه النقوش بموافقة السلطة الملكية وإشرافها مباشرة.

**ثالثاً: المراجع العربية** منها ما تضّن أخباراً نمطيّة تحاكي وجهة النظر التوراتيّة، ومنها ما ألقى الضوء على نتائج الكشوفات الأثرية وناقش وجهات النظر التي تميل إلى النقد والكتابة العلميّة الصحيحة.

## أولاً: كنعان والعبرانيّون أساطير تحولت إلى تاريخ

### الدلالات بين المقدس الثابت ولغة الإنشاء

يستخدم المؤرخون التوراتيّون مصطلح العبرانيون للإشارة إلى أحفاد آباء العهد القديم أي ابراهيم واسحاق و**يعقوب**، ويطلق على يعقوب أيضاً اسم اسرائيل[1]؛ وكان يشار إلى هؤلاء الأشخاص باسم الإسرائيليين حتى عودتهم من المنفى البابلي في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، ومنذ ذلك الوقت أصبحوا معروفين باسم اليهود، لكن المصطلح «العبرانيون» يظهر دائما في العهد القديم كاسم أطلقته الشعوب الأخرى على بني اسرائيل وليس كاسم يستخدمونه هم أنفسهم، وفي هذا الصدد فإن أصول المصطلح نفسه غير مؤكدة.

وفقًا للتقليد التوراتي فإن العبرانيين شعب ينحدر من سام أحد أبناء نوح، من خلال عابر الجد الذي أخذ العبرانيون اسمهم منه،[2] وتم استخدام المصطلح لأول مرة في التوراة للإشارة إلى إبراهيم[3] وتتالى استخدامه في سفر التكوين ضمن سرديّة يوسف[4] وأحفاد إبراهيم الآخرين كإسحاق ويعقوب[5]، واقترح البعض أن المصطلح "العبراني" يأتي من كلمة "عبر" إلى الجانب الآخر أو "عبور" وتلمح إلى ترك إبراهيم لأور وعبور نهر الفرات.[6]

---

[1] **سفر التكوين:** 32: 28

[2] **سفر التكوين:** 22: 7

[3] **سفر التكوين:** 13: 14.

[4] **سفر التكوين:** 14:17- 39.

[5] **سفر التكوين:** 15:40 ؛ 43

[6] **Speiser, E. A,** 1964- Genesis The Anchor Bible Garden City. Doubleday, New York, p. 105.

وهناك من يرى أن الاصطلاح ذو مغزى طبقي، ويستند هذا الرأي إلى ما ورد في سفر الخروج(21: 2) بشأن الاصطلاح الاجتماعي «عبدٌ عبري» وبعض الإشارات الأخرى مثل أبرام العبري في سفر التكوين الذي كان غريباً في أرض كنعان، والمكانة الاجتماعية المتدنية لبني إسرائيل في مصر، ولهذا فإن بني إسرائيل قد التصقت بهم صفة العبري كجماعة كانت في نظر الشعوب الحضارية بمثابة شعوب "عبرية" أي أدنى منهم حضارياً[7]

أما بالنسبة إلى الشواهد التاريخية والأثرية، فقد حاول بعض المختصين بالدراسات المسمارية أن يربط بين كلمة خبيرو أو عابيرو وكلمة **עברים** التوراتية التي تعني عبراني بالجذر «عبر» أو بالمصدر المشترك والذي يعني مرّ وعبر، وكان الهدف من ذلك كما هو واضح محاولة لاختراع أصول في فلسطين لجماعات العبرانيين «الذين استولوا على أرض فلسطين حسب رواية سفر يشّوع»[8] وتقديم شاهد رافدي ومصري على وجود ما للعبرانيين وتجذّره في تاريخ بلاد الرافدين وبلاد النيل.[9]

**الوعد الأول، النزوح والحرب**

مما لاشك فيه أن الأيام الأولى لأي شعب تكون دائماً محاطة بالغموض حيث لا تكون هناك إلا بعض الذكريات الباهتة ذات القيمة التاريخية الضعيفة

---

[7] **مالمات، ابراهام؛ تدمور، حاييم**، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، تر: رشاد عبد الله الشلّي: ط 1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001. ص 17.

[8] **السواح، فراس**، آرام دمشق إسرائيل، ط 1، دار علاء الدين، دمشق، 1995، ص 83 .

[9] **سليمان، عامر**، المعجم الأكادي، ط 1،ج1، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1999، ص 202.

ولا يختلف تاريخ العبرانيين عن غيرهم من جهة الطابع الأسطوري لقصص النشوء، وبالتالي فإنه ثمة سؤال يفرض نفسه فيما يتصل بمدى موثوقية المادة التاريخية الواردة في العهد القديم بمعنى هل المعلومات الواردة عن قصص الآباء في سفر التكوين وعن هجرتهم لمصر وسنوات العبودية فيها ثم خروجهم بعد أربعة قرون بقيادة موسى، هي معلومات تعكس أحداثاً تاريخية حقيقية؟[10]

أعطى سفر التكوين لأخبار يوسف بن يعقوب وقتاً أطول من أي شخصية أخرى من الشخصيات الرئيسية فيما يسمى بالآباء: آدم ونوح و إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لكن هذا البروز المثير لشخصية يوسف في سفر التكوين سينتهي بالإهمال الظاهر في بقية التوراة، وبالمقابل فإن قصة يوسف قد ساهمت في صياغة التاريخ التعويضي، لملء الفراغ السردي بين عهد الآباء الذين عاشوا في كنعان وجيل موسى والجماعة التي خرجت معه من مصر.

تروي التوراة قصة نزول يوسف بن يعقوب في مصر، مع التجار الإسماعيليين بعدما أنقذوه من غدر إخوته، لكن مستقبل هذا الفتى في مصر كان أكبر بكثير من مستقبلٍ ينتظره عبدٌ تم انتشاله من بئر في البرية، فسرعان ما تبوأ يوسف بسبب مواهبه الفريدة مكانة عليا في مصر ونال حظوة عند فرعونها[11] الذي لم تذكر التوراة اسمه، ولم يمضِ وقت طويل حتى احتاج أبناء يعقوب الآخرين معونة أخيهم بعدما عمَّ القحط بلاد كنعان، فلجأوا لمصر وكان يوسف وقتها واحداً من خدم الفرعون المقدمين، فتم لقاء الإخوة في مشهد بكائي

[10] **مالمات، ابراهام؛ تدمور، حاييم**، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة ، مرجع سابق، ص 176.

[11] **سفر التكوين**: 39: 3.

ليجتمع بعدها شمل يعقوب« إسرائيل» مع أبنائه في مصر وتبدأ فترة الإقامة في مصر.[12]

يقصد بفترة الإقامة في مصر بأنها الفترة الممتدة من دخول يعقوب وأبنائه إلى مصر حتى خروجهم بقيادة موسى بن عمرام، إلّا أن هذه الفترة تعد من أكثر فترات تاريخهم غموضاً، فالإشارة الصريحة الوحيدة لهذه الفترة هي ما ورد في سفر الخروج[13] :12: 40-41. ، ولتأكيد هذه المدة نسبت نبوءة لإبراهيم قبل ذلك حيث يقول الرب:

" **اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربعمائة سنة، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة.**"[14]

لم تذكر التوراة السبب الذي أدّى إلى تغيّر المصريين في معاملة أبناء يعقوب، وإنّما تكتفي بذكر أنهم كانوا عبيداً يُسخَّرون في بناء المدن الملكية رمسيس و فيثوم ثم تمردوا بزعامة نبيّهم موسى الذي تحدى الفرعون وأخرج العبرانيين من مصر، ودونت أخبار هذه الوقائع في ملحمة أدبية هي **الخروج.**

يبدأ تاريخ بني إسرائيل حسب الرواية التوراتية كشعب بالخروج من مصر[15] إن هذا الحادث يفترض أنه حصل في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر قبل

---

[12] **سفر التكوين**: 3: 45.

[13] **محمد، محمد قاسم**، التناقض في تواريخ وأحداث التوراة " من آدم حتى سبي بابل"، جامعة قطر، الدوحة 1992، ص 213.

[14] **سفر التكوين** :15: 13-16.

الميلاد، وترى التوراة في الخروج بداية التاريخ الحقيقي للإسرائيليين والذي يحدد بالخروج من مصر مصنّفين هذه الهجرة كواحدة من الثورات التي وقعت عبر عصور العبودية الطويلة، فقد كان الهدف منها هو الخلاص من العبودية المباشرة بالهروب إلى خارج حدود الدولة المصرية وخارج دائرة هيمنة النظام المصري[16]

وتعيد المصادر الكتابية سبب اضطهاد المصريين للعبرانيين إلى تخوف المصريين من كثرتهم وتنامي عددهم[17] "**وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا جدا وامتلأت الأرض منهم، ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه" هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكونوا إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا**"[18]

وتستطرد التوراة ولما ولد موسى وضعته أمه يوكابد بعيدا عن العيون لعدة أشهر وخافت افتضاح أمرها فألهمها الإله يهوه إلى وضعه في صندوق ثم ألقت به في نهر النيل، فانتشلته ابنة فرعون مصر وقيل زوجة الفرعون، فطالبت

---

[15] **الخروج:** هي قصة خروج اليهود بقيادة موسى بعد اضطهاد فرعون مصر لهم، وقد وردت هذه القصة في التوراة في سفر أخذ اسم سفر الخروج "أنا هو الرب إلهك الّذي أخرجك من مصر". تكشف لنا هذه الآية معنى هذا السفر ومحتواه: الله حرر شعبه وأخرجه من الضيق والعبودية. ينظر: الخروج: 20: 2.

[16] **باقر، طه،** مقدمة في تاريخ الحضارات، ط 2، ج 2، شركة الطباعة والتجارة المحدود، بغداد 1956، ص 107.

[17] **عرابي،** رجا عبد الحميد، سفر التاريخ اليهودي، ط 1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق 2000، ص 122.

[18] **سفر الخروج 1:** 8-10.

امـرأة الفرعـون منـه أن يبقيـه فيتخـذاه ولـدا بعـدما حرمـا مـن الأولاد، وبـذلك ترعـرع موسى في بلاط الملك عدو أبناء بني إسرائيل[19].

وحـدث أنّ موسـى قتـل رجـلاً مصـريّاً دفاعـا عـن أخيـه العبرانـي الـذي تعـرض للإهانـة وفـرّ بعـدها إلـى صـحراء مـدين خوفـا مـن غضـب الفرعـون وانتقامـه، وهنـاك تـزوج مـن ابنـة كـاهن مـدين[20] وظـل يرعـى غـنم أبيهـا لمـدة أربـع سـنين ثـم أمـره يهـوه بـالعودة إلـى مصـر وإخـراج بنـي إسـرائيل منهـا، ونظـرا لأنـه كـان ثقيـل اللسـان طلـب مـن الإلـه يهـوه أن يأخـذ معـه أخـاه هـارون ليـتكلم نيابـة عنـه وهـاجر موسـى وهـارون ببني إسرائيل متجهين شرقا إلى أرض كنعان.[21]

تتنـاول التـوراة قصّـة الخـروج بوصـفٍ أسـطوري إذ تـم تصـوير المشـهد كحـدث هـادرٍ امـتلأت معـه أرض مصـر بالضـجيج والأعاصـير، وانتشـر الخـراب فـي كـل صِقع، وسالت دماء المصريين حتى اصطبغ النيل بلون الدم.[22]

كـل ذلـك بسـبب غضـب **الإلــه يهــوه** علـى المصـريين ونُصـرةً لشـعبه المسـتعبد، إلا أن يهـوه عاقـب العبـرانيّين أيضـا لتـذمرهم الـدائم وارتـدادهم فحكـم علـيهم بالتيـه في الأرض وأن يعيشوا مشردين محرومين من الأرض الموعودة.[23]

---

[19] **طبـارة، عبـد الفتـاح عفيـف**، اليهـود فـي القـرآن، ط 4، دار العلـم للملايـين، بيـروت 1974، ص 195.

[20] **مــدين** : أو مـدين أرض تقـع شـرقي خلـيج العقبـة تعـرف الآن بـأرض مـديان. أنظـر: **فضــل حســن عبــاس**: القصـص القرآنـي، (د. ط)، شـركة الشـهاب للنشـر والتوزيـع، الجزائـر 1984، ص 221.

[21] **طعيمة، صابر**، التاريخ اليهودي العام، ط 3، ج1، دار الجيل، بيروت 1999 م، ص 42.

[22] **غلايكوفسـكي، إيمانويـل**، عصـور فـي فوضـى مـن الخـروج إلـى الملـك اخنـاتون، تـر: رفعـت السيد، ط 1، دار سينا للنشر، القاهرة 1995، ص 42 .

**ثانياً: سفر الخروج ووثائق الشرق القديم**

شَغلت مسألة تاريخانيّة قصة الخروج التوراتية، والتّيه في سيناء حيّزا مهماً من أعمال الأكاديميين والمؤرخين في العصر الحديث، فإلى جانب عمليّات التنقيب الأثري التي شملت كامل منطقة شرقي المتوسط، ظهرت دراسات نظريّة تعتمد على المقاربات العلمية والمنهجية التاريخية الحديثة لتؤكد أن ما جاء في التوراة عن قصة الخروج وعبودية العبرانيّين في مصر ما هو إلا من قبيل الأدب الخيالي، ويؤكد على ذلك المؤرخ سارنا بقولة "تقف الرواية التوراتية وحيدة دونما سند من أي مصدر خارجي وهي مليئة بالتعقيدات التي لا تساعدنا على وضع أحداث الخروج ضمن إطار تاريخي مقبول"[24].

أما بشأن ورود أخبار الهجرة الجماعية من مصر إلى كنعان في المصادر المسمارية، فإنه لم يرد فيها ذكر لهذه الهجرة، فالوثائق المسمارية الآشورية لم تذكر اليهود والإسرائيليين قبل عهد شلمنصر الثالث(859- 824 ق. م) فيما يسمّى بيهوذا والسامرة[25]، كما أنه لم يرد في الوثائق المصرية القديمة أي ذكر لجماعة عاشت في مصر وتمردت على الفرعون بالهروب كما جاء الوصف في التوراة، إذاً نحن نفتقد إلى المصادر الخارجية التي تحكي عن تجربة الإسرائيليين

---

[23] **الطبري، أبو جعفر ابن جرير**، تاريخ الملوك والأمم، ج 1، المكتبة التوفيقية، القاهرة 1960، ص 242.

[24] **Sarna. N**. M, 1988- Israel in Egypt, prentice Hall. New jersey, p 51.

[25] **عادل، إبراهيم، ابتهال**، اليهود في المصادر المسمارية، 1000-395 ق.م، منشورات علاء الدين، ط1، دمشق 2014، ص 111.

في مصر أو تلمح إليها والشواهد الموضوعية على تاريخية القصة التوراتية مفقودة تماماً بما في ذلك نتائج التنقيب الأثري.[26]

**مقاربة نصية تاريخية**

بعد قرن من عمل البعثات الأثرية في المنطقة لاكتشاف دلائل مادية تؤكد رواية الخروج، يقول علماء الآثار إنه لا يوجد دليل قاطع على أن الإسرائيليين كانوا في مصر على الإطلاق، أو أنهم استعبدوا، أو تجولوا في برية سيناء لمدة 40 عامًا أو احتلوا أرض كنعان تحت قيادة يشّوع، وفي هذا السياق يقول ويليام ديفر، أستاذ علم الآثار والأنثروبولوجيا في الشرق الأدنى بجامعة أريزونا وأحد علماء الآثار البارزين في أمريكا: "لقد عرف العلماء هذه الأشياء لفترة طويلة ، لكننا نقلنا الأخبار بلطف شديد".[27]

إن أول ما يلفت النظر في شخصية موسى هي اسمه، وهو يكتب في العبرية **משה** ولنا أن نتسائل من أين أتى هذا الاسم؟ وكما هو معروف فإن قصة الاسم ترد في الفصل الثاني من سفر الخروج، حين تعثر أميرة مصرية على طفل يبكي وقد وضع في سلّة قصب في مياه النيل فأشفقت عليه والتقطته وتقول القصة إن الأميرة التي أنقذت الطفل من ماء النيل أعطته اسمه" لأني انتشلته من الماء" يصير اسمه موشيه بمعنى لقيط الماء وهذا هو التفسير اللغوي للاسم.[28]

---

[26] **السوّاح، فراس، آرام دمشق وإسرائيل، منشورات علاء الدين، دمشق 1995، ص 78.**

[27] **Dever. W. G,** 2017- Beyond the Texts, An Archaeological Portrait of Ancient Israel and Judah. SBL Press, Atlanta, P 205.

[28] **الخروج:** 2: 10.

يرى سيغموند فرويد أن تفسير التوراة للاسم هو تفسير شعبي لغوي، ولكن صيغة اسم الفاعل من الاسم موشيه (لا يعني على الأكثر إلا الذي يَلتقِط) لا تتفق مع التفسير، ويمكن تأييد هذا الرأي بحجتين : الأولى بأنه من السخف أن ننسب إلى أميرة مصرية معرفة اللغة العبرية والثانية أنه في الغالب أن الماء الذي انتشل منه الطفل لم يكن هو ماء النيل[29]

ومن ناحية أخرى يقول بريستد إن اسم موسى ليس إلا الكلمة المصرية Mose والتي تعني طفلاً، وهي اختصار للاسم المكوّن من شقين مثل <أمون موسى> أي طفل أمون أو بتاح موسى وهذه الأشكال بدورها هي اختصارات للشكل الكامل الذي يعني أن " أمون قد أنجب طفلا" والاسم المختصر موسى صار في وقت مبكر شكلا مريحا للاسم المركب الكامل. [30]

ويسرد بريستد قائمة أسماء الملوك المصريين الذين تتشابه أسماؤهم في مدلولاتها الدينية مثل "اح موسى"(أحمس) و"توت– موسى"(تحتمس) ورع موسى(رعمسيس) ومن الطبيعي أن يستنتج الباحث من هذه القراءة أن من يحمل اسما مصريا كان مصريا هو نفسه.

إن سفر الخروج يتضمن أسماء أماكن لم تعرف قبل القرن السابع قبل الميلاد أي زمن مملكة يهوذا وهو الزمن الذي دونت فيه الأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى الذي يفترض أنه عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد إذا

[29] **فرويد سيغموند**، النبي موسى ورسالة التوحيد، تر: عبد المنعم الحفيني، ط 1، دار الرشاد، القاهرة 1991، ص 27.

[30] **بريستد، جيمس هنري**، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، تر: حسن كمال، ط 2، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996، ص 146.

صحت رواية التوراة وهناك الكثير من الدلائل في سفري العدد والتثنية على أن أسماء الأماكن المذكورة خلال مسيرة النزوح تعكس بإشاراتها السياسية والجغرافية قضايا ومشاكل مملكة يهوذا في القرن السابع قبل الميلاد.

إن الموقع الذي يحمل اسم فيثوم Pithom مذكور في نص قديم يعود للقرن الثالث عشر قبل الميلاد، إلا أنّ المدينة (فيثوم ) المشهورة والأكثر بروزاً بنيت في القرن السابع ق م. لقد قادت النقوش التي وجدت في تل مسخوطة في الدلتا الشرقية، علماء الآثار إلى مطابقة هذا الموقع مع فيثوم التي وجدت في وقت تال.

كشفت التنقيبات الأثرية هناك أنه باستثناء فترة استيطان قصيرة حدثت في العصر البرونزي المتوسط لم تصبح المدينة مأهولة بشكل كامل بالسكان إلا في وقت السلالة السادسة والعشرين[31]؛ وعلى المنوال نفسه اسم مجدل (الذي ورد في سفر الخروج 2/14) هو عنوان مشترك لحصن كان قائماً في عهد المملكة المصرية الجديدة، لكنّه في الوقت نفسه اسم مهم جدا ومعروف في الدلتا الشرقية في القرن السابع قبل الميلاد، والاسم جاسان الذي ذُكر كاسم للمنطقة التي استقر فيها الإسرائيليون في الدلتا الشرقية ( التكوين 45 /10) ليس اسماً مصرياً، بل اسم عربي. وطبقاً لريدفورد فإن العرب القيداريين توسّعوا في الدلتا

[31] **ريدفورد، دونالد**، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، تر: بيومي قنديل، ط2، المركز القومي للنشر، القاهرة 2006، ص 170.

وأصبحوا عاملاً مهيمناً في الدلتا والاسم جاسان مشتق من جيسيم وهو اسم الأسرة الملكية القيدارية[32].

وبالعودة إلى الرواية التوراتية نجد أن موسى قد سن شرائعاً لشعبه ما كانت لتسنّ إلا لقوم ضربوا سهماً في الحضارة والمدنية، وذلك على حين أنهم كانوا ما يزالون يضربون في تلك الفيافي المقفرة، وهو ما يقطع بأن القوانين قد سنّت في زمن مملكة يهوذا.[33]

من القوانين مثلا فريضة الكاهن التي تؤدّى عند إجراء التعداد العام، إذ أوجب عليهم أن يدفعوها إليه مضروبة في سكة القدس[34]، والمعروف أن القدس هي أورشليم اليبوسية ولاحقاً عاصمة مملكة يهوذا في الحقبتين الآشورية والبابلية؛ ومن القوانين أيضاً أنه حدد لباس الكهنة من الكتان، وأن يتخذوا لأنفسهم أمتعة وحلياً من الذهب والفضة مرصّعةً بالجوهر والأحجار الكريمة إن حديثاً عن أشياء كالذهب والكتان والجوهر لا يمكن لأنّ يحدث لقوم تائهين لم يجدوا غير المنّ طعاما[35].

---

[32] **فنكلشتاين، إسرائيل، سيلبرمان، نيل أشير**، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، تر: سعد رستم، صفحات للدراسة والنشر، دمشق 2006، ص 102.

[33] **الشامي، رشاد**، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 2007، ص 89.

[34] **خروج:** 30: 12-13.

[35] **الشامي، رشاد**، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ص 90.

**ثالثاً: ماذا قال علم الآثار عن سفر الخروج**

لقد فشلت حتى الآن كل الجهود التي بذلت من أجل إثبات تاريخانية أحداث قصة الخروج، فالمصادر المصرية لا تذكر شيئا عن وجود الإسرائيليين في مصر ولا عن خروجهم منها سواء بالطريقة الموصوفة بالتوراة أو بطريقة أو بأخرى[36]

التفت المؤرخون إلى النصوص المصرية القديمة وخاصة بعد اكتشاف نقش مرنبتاح الموجود في متحف القاهرة باسم «**نقش إسرائيل**» بسبب ورود كلمة إسرائيل أو يسرائيل في النص الذي يعدد فيه الفرعون المصري أسماء الأقوام التي قهرها في كنعان حيث يرد فيه اسم إسرائيل لأول مرة في التاريخ،[37] ولكن هل يقصد بإسرائيل هنا القبائل الاسرائيلية كما ترد في العهد القديم؟ أم جماعة أقدم كانت تسمى إسرائيل، ثم خلعت هذا الاسم لمناسبة تاريخية مجهولة على إسرائيل التي نعرفها؟

إن ما ورد في مسلّة مرنبتاح هو ذكر اسم إسرائيل مسبوقة بعلامة دالّة على الأقوام أي أن المقصود من الكلمة هو "بنو اسرائيل" أو قوم إسرائيل علماً بان العلامة الدالة على الأقوام غالباً ما تشير إلى البدو المتنقلين وبذلك فإن الكلمة لا تشير إلى وجود كيان سياسي أو مكان بهذا الاسم، و يُلاحَظُ بأن جميع الوثائق تنفي نفيا قاطعا وجود كيان اثني أسمه إسرائيل، كما أن المعلومات الأثرية حول فترة الانتقال بين العصر البرونزي المتأخر وأوائل عصر الحديد الأول بحدود 1200 ق.م تمدّنا بمعارف قيمة حول الديمغرافية(السكان)

[36] **السواح فراس،** آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتأريخ التوراتي، ص 72.

[37] **Albright. W. F,** 1968- Yahweh and the Gods of cannan. The Athlone Press, London., pp. 159-164.

والمستوطنات والاقتصاد والتنظيم الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني، وهذه المعلومات لا تثبت وجود كيان يدعى «إسرائيل» وعلى الرغم من ذلك فقد كتب عنها الكثير واتخذت أساسا لوجود إسرائيل منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد[38].

وبصرف النظر عن الإشارة الغامضة إلى إسرائيل في نص مرنبتاح والتي يجمع المؤرخون على عدم صلتها بإسرائيل التوراتية، فإن النصوص المصرية عبر التاريخ لم تعرض لذكر إسرائيل في أية صورة أو أية صيغة[39].

وفي هذا السياق يشير فنكلشتاين إلى أن الحدود بين كنعان ومصر كانت مراقبة عن كثب. إذا عبرت جماعة عظيمة من الإسرائيليين الفارّين من خلال تحصينات حدود النظام الفرعوني تلك، فلا بدّ أن يكون هناك توثيق وتسجيل لمثل هذا الحدث الخطير، ولكن ليس هناك في أي من المصادر المصرية الوفيرة التي تصف زمن المملكة الجديدة عموما أو القرن الثالث عشر ق م بشكل خاص أي إشارة إلى الإسرائيليين، وليس حتى مجرد كلمة واحدة حول الإسرائيليين الأوائل في مصر: لا في النقوش التذكارية على جدران المعابد ولافي نقوش القبور، ولافي أوراق البردي. إسرائيل غائبة سواء كخصم محتمل لمصر، أو كصديق، أو جماعة مستعبدة....وببساطة لا يوجد هناك أي اكتشافات في مصر يمكن ربطها بفكرة مجموعة عرقيّة أجنبية متميّزة تعيش في

[38] **السواح، فراس،** آرام دمشق وإسرائيل، ص 73.

[39] **عادل، إبراهيم، ابتهال،** اليهود في المصادر المسمارية، ص 65.

منطقة متميّزة من الدلتا الشرقية، كما يفهم ضمنيّا من القصة التوراتية التي تتكلم عن بني اسرائيل، الذين يعيشون معاً في أرض جاسان[40].

من المسلّم به أن التنقيبات الأثرية أضافت الكثير من الإرباكات المعقّدة لقصّة الخروج الموسوي فموميـاء مرنبتاح التي عُثِر عليها مدفونة في مقبرة أمنحتب الثاني في وادي الملوك بالأقصُر،[41] كُتب بجانبها دعاء الشكر للإله أمون على النجاح في تدمير أشكلون وجازر (والتي تشير التوراة أن الإسرائيليين دمّروها). واستناداً إلى الشروحات الموجودة، فإن عبور البحر الأحمر كان خطّة عسكرية مصريّة هدفها السيطرة على أرض كنعان من موجة العصيان.[42]

وقد زاد التأكيد حين تمّ العثور أثناء التنقيبات على مِزوَلة – ساعة شمسيّة – عُثر عليها في جازر وتحمل اسم مرنبتاح. كما يضيف سيتي الأول(1307–1291) في إحدى وثائقه التي عُثر عليها في بيسان ويذكر فيها كيف أنه قدّم العون إلى ملك بيسان للقضاء على المناوئين لفرعون. هذه الأحداث وغيرها تشير إلى سيطرة الفراعنة على بلاد الشام ومنها فلسطين قبل تاريخ الخروج وفي أثنائه وبعده إن حصل أصلاً، ومن الدلائل التي تؤكد السيطرة الفرعونية على

---

[40] **فنكلشتاين، إسرائيل، سيلبرمان، نيل أشير**، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ص 94.

[41] **أمنحتب الثاني:** هو الملك السابع في الأسرة الثامنة عشر، وهو ابن الملك تحتمس الثالث، شارك والده في الحكم حتى وفاته، وقاد في العام السابع من حكمه حملة إلى فلسطين بدأها ببلاد رتنو فأخضع أمراءها، ويعتقد أنه حكم في الفترة من 1427 إلى 1401. ينظر: **حسن، سليم**، موسوعة مصر القديمة، ج 4، هيئة الكتاب والمجموعة الثقافية المصرية، القاهرة 2001، ص 643.

[42] **فنكلشتاين**، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ص 95.

جنوب سورية المسلّة التي عُثر عليها في بيسان[43] أيضاً وتحمل اسم رعمسيس الثاني(1290– 1244 ق م)، كما أن رعمسيس الثالث فرض السيطرة على فلسطين وأقام نصباً في بيسان[44].

فالسيطرة المصرية على جنوبي بلاد الشام كانت مطلقة تؤكدها الوثائق المصرية والبابلية والآشورية وآثار التنقيب في فلسطين، فكيف تمكن الموسويون من الفرار من وجه الفرعون المصري ولم تطلهم يده في فلسطين وهي من جملة أملاكه؟ وفي هذا الصدد يقول جورج إرنست رايت" هناك استحالة أن تتفق التنقيبات الأثرية مع أطروحات التوراة وخاصة قصة الخروج، بل إن الدخول فيها محظور بالإطلاق[45].

## رابعاً: حرب خاطفة مهّدَت لعصر الحديد في كنعان

يقدم لنا العهد القديم تاريخاً يبدو للوهلة الأولى مترابطا في طبيعته السردية ابتداءً من سيرة موسى وقومه الخارجين من مصر هرباً باتجاه الأرض الموعودة، وصولاً لعهد يشّوع بن نون كخلفٍ لموسى في قيادة بني إسرائيل لتنفيذ المهمّة الربانية الّتي تتمثل باستكمال ملحمة التحرر كما صوّرها محررو التوراة وهي غزو أرض كنعان.

---

[43] **بيسان:** مدينة عربية من أقدم مدن فلسطين، نشأت فوق أقدام الحافة الغربية لغور الأردن، تشرف المدينة على ممر وادي جالوه إحدى بوابات سهل مرج ابن عامر، وتشرف على الأجزاء الشمالية لوادي الأردن، وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي في 12/5/ 1948 م. ينظر: الموسوعة الفلسطينية، مج 1، ص 484.

[44] **السعد جودت**، أوهام التاريخ اليهودي، ط 2، منشورات الأهلية، عمّان 1998، ص 57–60.

[45] **Wright, G. E**, 1960- The Biblical Archaeologist, Near Eastern Archaeology. The Westminster Press Magazine, Philadelphia, p 34-35.

إذا مادنا وطالعنا الأعمال النظرية للمؤرخين التوراتيين، فإننا نجدهم يستسلمون لطغيان الموقف النصّي الذي يغلب عليه التأييد الأعمى للقَصَص الدّيني، لذا سيناقش المقال هذه الفصلة بسرد رواية الغزو كإحدى الفرضيات الأكثر شيوعا عن أصول العبرانيين في أرض كنعان، ثم تفكيكها ونقدها فيما بعد، علماً أن قصة الغزو لم ترد إلا في التوراة وتحديدا في سفر يشوع، وبالتالي فإن جميع الكتابات التاريخية التي تناولت قصص الغزو العبراني لأرض كنعان اعتمدت على سفر يشّوع بشكل رئيسي.

**هل تجاوزت غزوات يشّوع بن نون حدود التوراة؟**

نُشرت دراسة في ملحق صحيفة هاآرتس سنة 1995، بقلم جرشون جليل قال فيها:" تنقلنا قضية احتلال أرض كنعان، واستيطان أسباط إسرائيل فيها من مرحلة ما قبل التاريخ القديم إلى مرحلة بداية التاريخ والرواية الرسميّة في العهد القديم"[46]، لقد خيّم هذا الخطاب على معظم الدراسات النظرية الحديثة في بداية القرن العشرين، فالرؤى الإسرائيلية والغربية الحديثة متطابقة بمعظمها مع الرواية الدينية فيما يخصّ أصول العبرانيين في فلسطين، وبناءً على هذه الرؤى لابدّ أن تستوقفنا تقييدات مهمة:

**<u>أولاً</u>** من هو يشّوع بن نون القائد العسكري لطلائع العبرانيين الذي كُتب السفر التوراتي باسمه؟

**<u>ثانياً</u>** متى حدث هذا الغزو الكبير لأرض كنعان وكيف تمّ تأريخه؟

[46] **الشامي، رشاد**، رؤى إسرائيلية، ص 103. ينظر أيضا: **جليل، جرشون**، سفاريم، صحيفة هاآرتس، العدد 17، تل أبيب 6/5 1996، ص 5

لم تذكر التوراة نسب يشوع، وتبدأ سيرته في التوراة بشكل مفاجئ بعد موت موسى:" **قال الربّ ليشّوع بن نون خادم موسى: مات عبدي موسى فقم الآن واعبر الأردن أنت و جميع بني اسرائيل إلى الأرض التي أعطيتها لهم. كلّ مكان تدوسه أقدامكم أعطيه لكم، كما قلت لموسى. تمتدّ حدودكم عبر جميع أراضي الحثّيين من البريّة جنوباً إلى جبال لبنان شمالاً، ومن نهر الفرات الكبير شرقاً إلى البحر**"[47]

لقد صوّر التوراة خطاب الإله يهوه ليشوع كتوكيل باستكمال المهمّة الربّانية بصفتها استمراراً لحركة التحرر التي قادها موسى في مصر من جهة، وتجديداً لعهد الرب مع بني إسرائيل بامتلاك أرض كنعان من جهة أخرى، ويضع المؤرخون التوراتيّون تاريخاً تقريبياً لهذا الغزو بحدود 1200 ق. م.[48]

وتعرُض التوراة أسماء سبعة شعوب كانت تقيم في أرض كنعان في ذلك الوقت وهم الحيثيون والأموريون[49] والفريزيون[50] والحوريون واليبوسيون[51]

---

[47] **سفر يشّوع: 1 : 2 –5.**

[48] **خان، ظفر الإسلام**، تاريخ فلسطين القديم (1220 ق م – 1359 م) منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط 3، دار النفائس، بيروت 1981، ص 34.

[49] **الأموريون:** تذكر الكتابات المسمارية الأكادية تسمية أمورّو/A–mur–ru كمقابل للتسمية السومرية مارتو/Mar–tu والتي تشير إلى المناطق السورية الواقعة غرب الفرات ومن ثم فإنّ للتسمية مدلول جغرافي محض يشير إلى جهة الغرب التي كانت موطناً للقبائل البدوية التي انطلقت من جبل بسَر(جبل البشري بين الرقة ودير الزور وحمص) المعروف بجبل الأموريين، وتعد تسمية الامورّيين أول إشارة حقيقية لسكان سورية القدماء في العصر الأكادي، وقد اقترنت عند سكان العراق مع معنى ‹البدوي› بحكم أن هذه القبائل كانت لا تعرف الزراعة بل تمارس الرعي وتسكن الخيام، ومع الزمن تحولت كلمة أمورو إلى تسمية ذات دلالة عرقية تشير إلى الشعب الأموري الذي أسس عدة ممالك في بلادي الشام وما بين النهرين كان من أهمها بابل.

والكنعـانيون والفلسـتيّون، قـرر يشّـوع تعبئـة القـوم لاحـتلال فلسـطين قـائلاً لهـم:" **هيئـوا لأنفسـكم زادا لأنكـم بعـد ثـلاث أيـام تعبـرون الأردن هـذا لكـي تـدخلوا فتمتلكـوا الأردن التي يعطيكم الرب إلهكم لتملكوها**".[52]

وتقـص التـوراة الأحـداث التـي جـرت بعـد ذلـك بتفاصـيل يشـوبها الكثيـر مـن الخيـال ممـا جـاء فيهـا، فـأمر يشّـوع بعبـور النهـر فـي موكـب "**وثنـى خاشـعاً يمـد المـاء**

---

ينظـر: الرحـال، محمـد عـادل، صـناعة المعـادن وتجارتهـا فـي مملكـة أوغاريـت، الهيئـة العامـة السورية للكتاب، دمشق 2018، ص 62.

[50] **الفريزيـون:** هـم طائفـة معـدودة مـن الكنعـانيين لكـن يبـدوا أنهـم عنصـر مختلـف عـن الكنعـانيين أقـدم مـنهم فـي الـبلاد، فقـد كـانوا مـن القبائـل التـي تسـكن أرض كنعـان. ينظـر: شـنودة، زكـي، المجتمع اليهودي، (د. ط)، مكتبة الخانكي، مصر 1905، ص 50.

[51] **اليبوسيون:** سكان مدينة القدس قديماً، عرفوا باسم "اليبوسيين". ولا تزال هوية اليبوسيين القومية من المواضيع المثيرة للجدل وتعدد الآراء بسبب ندرة الأدلة من جهة، وعدم وضوح المعروف منها في الوقت الحاضر من جهة أخرى. فهناك من الباحثين من يرى أنّ اليبوسيين كانوا من الكنعانيّين ويستندون في رأيهم هذا إلى المصادر التوراتية التي تعتبرهم من الأقوام التي انحدرت من كنعان. ويرى آخرون أنهم من الأموريين استناداً إلى ما تحدثت عنه التوراة من ترؤس ملك اليبوسيين "آدوني صادق" لحلف أقامه الأموريون، واستنادا إلى العثور على اسم "يابو–سوم" في الكتابات الأمورية التي تعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد في المنطقة الواقعة على حدود بلاد بابل الشمالية الغربية، ويرجّحُ عدد آخر من العلماء أن اليبوسيين يعودون إلى أصول حورية. وحجتهم في ذلك أن الأسرة التي كانت تحكم القدس في عصر العمارنة (حوالي 1400 ق.م.) كانت تحمل أسماء حورية كذلك "عبدي–خيبا" لأن "خيبا" أو"خيبات" اسم لإلهة حورية مشهورة. أما بالنسبة الى تأريخ دخول اليبوسيين فلسطين فإنّ الأدلة المستنبطة من مراسلات تل العمارنة تشير بما لا يترك مجالا للشك إلى وجودهم في فلسطين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ينظر: **سوسة، أحمد**، العرب واليهود في التاريخ، ص 725.

[1] **سفر يشّوع:** 6: 26.

**تحت أقدامهم ثم وقف الموكب أمام الأسوار المقفلة وطاف حولها بأمر الرب سبعة أيام وفي كل يوم سبعة أطواف وهو يهتف بالرب وينفخ بالأبواق وفي اليوم السابع سقطت الأسوار بمعجزة ربانية فدخلوا المدينة وقتلوا من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير أحرقوها"**[53] ومن المدن التي استولى عليها يشّوع: بيت إيل[54] وعاي ولخيش وعجلون ودبير.

يعلق المؤرخ بيللوك على سفر يشّوع في كتابه «أرض المعركة»:" لقد عيّن يشّوع رقعة للقبائل لم تستطع أن تملأها"،[55] إذ عجز بنو إسرائيل عن احتلال كامل كنعان وخصوصاً يبوس لتحصينها المنيع والمقاومة الشديدة لليبوسيين الذين اتحدوا مع ملك حاصور[56] ضد يشّوع فلم يستطع بنو إسرائيل الاستيلاء على قلعة اليبوسيين في أورشليم القدس (حصن صهيون فيما بعد)[57]، عدا عن مدن الساحل التي بقيت بيد الفلستيّين.

**علم الآثار يقتفي أثر الدمار في أواخر البرونز ومستهل عصر الحديد**

في ثمانينيات القرن الماضي بدأ علماء الآثار التوراتيون يبحثون عن أدلّة على الغزوات الإسرائيلية الموصوفة في سفر يشّوع، وعلى الرغم من أن هذه

---

[53] **سفر يشّوع:** 6: 19-26

[54] **بيت إيل:** بيت الله تقع على بعد 16 كيلو متر شمال القدس. ينظر: عرابي، رجاء عبد الحميد، سفر التاريخ اليهودي، ص 184.

[55] **جيفرز. ج.** ن، فلسطين إليكم الحقيقة، تر: أحمد خليل الحاج، ج 1، الهيئة المصرية العامة للنشر، القاهرة 1971، ص 40.

[56] **حاصور:** هي كبرى مدن الجليل الأعلى بشمال فلسطين على مقربة من مرتفعات الجولان السورية، تقع على بعد تسعة اميال شمال بحر الجليل. ينظر: عثمان احمد، تاريخ اليهود، ص 109.

[57] **صهيون:** كلمة كنعانية او تعني قمّة، وبقيت في العربية" صياصي الجبال". ينظر: **مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد،** المرجع السابق، ص 76.

الجهود لم تتوصل إلى دليل تاريخي معروف يثبت تاريخيّة تلك الغزوات نرى بعض علماء الآثار التوراتيين مازالوا مصرّين على أن القاعدة الأساسيّة في علم الآثار هي الإيمان بتاريخ الكتاب المقدس وهنا تكمن المشكلة.

بدأ موقف التيار المتشدد (الآثاريون التوراتيون) بالانهيار بشكل خطير عندما قامت كاثلين كينيون بحفرياتها في موقع أريحا وخلصت في كتابها «حفر في أريحا» أن المدينة كانت شبه مهجورة في أواخر العصر البرونزي المتأخر أي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وتعتقد كينيون بأن التل لم يكن مأهولاً حتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد والأدلة الأثرية من العصر البرونزي المتأخر في تل السلطان شحيحة للغاية[58].

وتبين تنقيبات كينيون بوضوح أن جارستانج أخطأ في تأريخ السور المزدوج للعصر البرونزي المبكر وعزاه للعصر البرونزي المتأخر، كي يتناسب مع فرضيته حول غزو يشّوع بن نون لأريحا إلا أنه من المؤكد أن علماء الآثار لم يعثروا على أسوار مدينة أريحا في زمن غزوة يشّوع المفترض، مشيرين إلى التعارض بين الروايات التوراتية والدلائل الأثرية. ولم يتمكّن علم الآثار من تقديم دليلٍ أثري على التدمير الوارد في سفر يشّوع، وأظهرت كينيون دلائل بسيطة من العصر البرونزي المتأخر بين الأعوام 1400–1325 قبل الميلاد من دون أي إشارة إلى سور المدينة.[59]

[58] **Kenyon, K. M**, 1957- Digging up Jericho. Ernest Benn Limited, London, p58

[59] **طه، حمدان**، أريحا عشرة آلاف سنة من الحضارة، وزارة الثقافة والآثار الفلسطينية، رام الله 2011، ص 39.

لكن الدلائل الأثرية لا تقدم صورة واضحة عن أريحا في الفترة ما بين القرنين السادس عشر والثالث عشر قبل الميلاد. لذلك لا يمكن الربط بين الدليل الأثري والرواية التوراتية عن غزوة يشّوع، إذ أن المدينة لم تذكر في السجلات المصرية ولافي حملة تحوتمس الثالث على فلسطين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ولا في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد[60].

ويرى لورنس أي ستيجر في كتابه اختلاق هوية "ظهور إسرائيل القديمة" بعد دراسته لعدة مدن تم الحديث عن غزوها من قبل يشّوع أنه لا يوجد دليل على غزو إسرائيلي في أواخر العصر البرونزي، وغالبا ما يكون دليلا مخالفاً تماماً، ويقدم ستيجر دليلاً من نتائج الحفريات الأثرية في فلسطين بأن الغزو الإسرائيلي لكنعان لم يحدث أبداً، وهذا يقودنا إلى نفي الخروج من مصر وبالتالي رفض الرواية التي تنسب العبرانيين إلى إبراهيم والآباء الأسطوريين في سفر التكوين. [61]

وفي السياق أكّد المؤرخ ستيجر أنه لا يوجد دليل على غزو موحد للمدن وأن بعض أهم المدن المذكورة في سفر يشّوع، مثل أريحا وعاي قد هجرت بالفعل قبل قرون من حدوث الغزو المفترض، نظراً لوجود مصدر مياه دائم الجريان في أريحا فإنها كانت مشغولة بقرية كنعانية صغيرة غير مسوّرة في بداية عصر الحديد. [62]

[60] **طه، حمدان**، أريحا عشرة آلاف سنة من الحضارة، ص 39.

[61] **Stager, E. L**, 1998- Forging an Identity The Emergence of Ancient Israel, Oxford University Press, New York, p 91.

[62] **Stager E. L**, Op. Cit, PP 132- 133.

**الحدث التوراتي إلى التيه من جديد**

يقدم المؤرخ إسرائيل فنكلشتاين في كتابه التوراة مكشوفة على حقيقتها رؤية نقدية لسفر يشّوع محاولاً تفكيك الرواية النمطية التي تُرجِع إحراق المدن في كنعان إلى غزوات يشّوع الخاطفة إذ يقول:" الحقيقة أننا لا نعرف على وجه الدقة سبب انهيار العصر البرونزي المتأخر في جميع أنحاء المنطقة، رغم ذلك فإن الشواهد الأثرية التي تدل على ذلك الانهيار واضحة.

من المحتمل أن أزمة اقتصادية اجتماعية شديدة أدت إلى حصول نزاعات شديدة بين المدن الكنعانية من أجل السيطرة على الأراضي الزراعية الحيوية، وفي بعض الحالات لربما قام الفلاحون والسكان الرعاة بمهاجمة المدن وحرقها، فسقطت المدن الغنية واحدة بعد الأخرى في حرائق مثيرة ومفاجئة، لتدخل المنطقة في مرحلة انحدار وانحطاط تدريجي، إذاً هذا التحول العظيم لم يكن مباغتاً في كل مكان، إذ تشير الأدلة الأثرية إلى أن دمار المجتمع الكنعاني كان عملية طويلة وتدريجية نسبيا؛ وجد المنقبون في لخيش في طبقة الدمار، جزءاً معدنياً من المحتمل أن يكون ملائماً للباب الرئيسي للمدينة، يحمل اسم الفرعون رعمسيس الثالث، هذا الاكتشاف يخبرنا أن المدينة دمرت في وقت ليس أبكر من عهد هذا الملك، الذي حكم بين 1184– 1153 ق ".[63] م، وفي

[63] **فنكلشتاين، اسرائيل**، سيلبرمان، نيل أشير، التوراة اليهوديّة مكشوفة على حقيقتها، مرجع سابق، ص 126

خرائب مجدو تم اكتشاف قاعدة معدنية لتمثال يحمل اسم رعمسيس الرابع 1143- 1136 ق م.[64]

ذكرت التوراة أنّ ملوك المدن الأربع حاصور، أفيق، لخيش، ومجدو، هُزموا على يد العبرانيين تحت قيادة يشّوع، لكن الأدلة الأثرية تظهر بأن دمار تلك المدن حدث على مدى أكثر من قرن، والأسباب المحتملة لذلك الدمار هي: إما عمليات غزو، أو انحلال اجتماعي، أو حروب أهلية؛ أي أنه لم تقم بذلك الدمار قوة عسكرية وحيدة، وبالتأكيد؛ لم يتم ذلك الدمار خلال حملة عسكرية واحدة[65].

اقتفى عدد من الدارسين أثر المؤرخ ألبريخت أولبرايت في بحثه عن بينات أثرية غير توراتية عن أصول إسرائيل متبنين التصور الذي تطوّر بسرعة في شأن اعتبار علم الآثار التوراتي وسيلة لتأكيد تاريخانيّة المرويات التوراتية خاصة ما تعلق بعهد موسى والخروج والتيه وقصص الغزو في سفر يشّوع. هؤلاء الدارسون المحافظون مثل غلويك وجيز أي رايت وآر. دوفوكس كانوا متأثرين جداً بهذا التوجه للبحث عن توكيد غير توراتي للمرويات متحدثين بثقة عن النتائج التي ستسفر عنها التنقيبات الأثرية التوراتية بالنسبة لتاريخ أصول

[64] **رعمسيس الرابع:** هو ابن رعمسيس الثالث حكم بين 1143- 1136 ق. م، ساءت أوضاع مصر في عهده بسبب ازدياد نفوذ الكهنة، يُذكر له أنه أنشأ بعض المعابد. ينظر: **قابلو، جباغ؛ سمير، عماد**، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 404.

[65] **فنكلشتاين، إسرائيل**، سيلبرمان، نيل أشير، التوراة اليهوديّة مكشوفة على حقيقتها، المرجع نفسه، ص 127.

إسرائيل القديم وتأكيد تاريخيّة سفر يشّوع في ضوء الفهم المتزايد للعصر الحديدي الأول[66].

وفي هذا السياق يعلّق توماس طومسن في كتابه « التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي» على نتائج أبحاث دوفوكس بقوله" لقد أكد دوفوكس بقوّة تاريخانية قصص الآباء إلا أن عرضه لبينات الشرق الأدنى القديم غير التوراتية كإثبات لهذا التأكيد، لا يذهب إلى إثبات ما هو أبعد من التشابه، إن ضعف التأييد لهذه التاريخانية كان بارزاً في كتاب مكرس لعرض التقاطع بين المصادر التوراتية وغير التوراتية، وبالنظر لاستقامة دوفوكس وتعمقه كباحث، لاحظ القرّاء أنه ليست هناك أي بيّنة على هذه الفترة التاريخية المزعومة"[67]

## الخاتمة

إنّ تحليل مصطلح– العبرانيين– والبحث في الأصل اللغوي والتاريخي للمرادفات الأخرى يقودنا إلى الاعتقاد بأن هذه التسميات تطورت على مراحل، تبعاً لتطور الأوضاع السياسية في الشرق الأدنى القديم، إذ لم يكن تاريخ فلسطين منفصلاً عن محيطه، لا سياسياً ولا اجتماعياً ولا ثقافياً، أما ما ورد في التوراة من تسميات لهذا الشعب، فيحتاج إلى كثير من التدقيق نظراً للتناقض الواضح وعدم مراعاة سلّم زمني مقبول عند إيراد التسميات.

بالتدقيق في الرواية التوراتية فإننا نجد لمصر مكانة متميزة في تاريخهم، إذ كانت مصر بمثابة المسرح التخيلي لأعظم الأحداث التي مر بها هؤلاء، بدءاً

[66] **طومسون، توماس. ل**، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، تر: صالح علي سوداح، ط 1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت 1995، ص 57.

[67] **طومسن، توماس**، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، المرجع نفسه، ص 57.

من عصر الآباء الذي لم يثبت وجوده تاريخيا وصولا لسقوط أورشليم بيد البابليين، كانت مصر حاضرة بقوة في الذاكرة اليهودية بما يثير الشكوك حول الأصول المصرية لعقائد الموسويين.

إن رواية سفر يشّوع عن غزوات خاطفة وحرب مدمرة أدت لاحتلال أرض كنعان، ليس لها ما يؤكدها لا في المصادر المسمارية ولا في الشواهد المادية، كما أن نظريات الأصول الأولى للعبرانيين لا يمكن اعتمادها كحقيقة تاريخية نهائية.

إن تناول تاريخ هذه الحقبة كموضوع للبحث الجامعي يتطلب جهداً أكبر ومعرفة حقيقية بلغات الشرق القديم، كما أن إمكانية المعاينة والمشاهدة المباشرة سواء للأوابد الباقية أو للقطع المتحفيّة أمر شبه مستحيل في ظل الظروف السياسية الحالية خاصة ونحن نعلم أن تزوير التواريخ، وتحريف ترجمة النقوش أمر تكرر حدوثه من قبل المؤرخين المتعصبين للتوراة بسبب خضوع التاريخ العبراني لاعتبارات سياسية، لذا يتوجب على الباحث الحذر والدقة في استخدام المصادر التاريخية، والتحلي بدرجة من الموضوعية بعيداً عن أي اعتبار.

لم تبدأ إسرائيل القديمة في التبلور حتى شرعت مجموعة أو مجموعات في عملية الاستيطان في المرتفعات، كما يتضح من علم الآثار، بمعنى آخر لم يكن هناك "إسرائيل" قبل بداية الحديد الأول، والأغلب بعد ذلك التاريخ بكثير، حين ظهرت دويلة السامرة التي أطلق عليها المؤرّخون المعاصرون اسم إسرائيل، متأثرين بما جاء في التوراة.

## قائمة المصادر والمراجع

### قائمة المصادر


- **العهد القديم**، جمعية الكتاب المقدّس في لبنان، ط 4، بيروت 1995.
- **الطبري، أبو جعفر ابن جرير**، تاريخ الملوك والأمم، ج 1، المكتبة التوفيقية، القاهرة 1960


### قائمة المراجع


- **باقر، طه**، مقدمة في تاريخ الحضارات، ط 2، ج 2، شركة الطباعة والتجارة المحدود، بغداد 1956.
- **حسن، سليم**، موسوعة مصر القديمة، ج 4، هيئة الكتاب والمجموعة الثقافية المصرية، القاهرة 2001.
- **خان، ظفر الإسلام**، تاريخ فلسطين القديم (1220 ق م – 1359 م) منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط 3، دار النفائس، بيروت 1981.
- **الرحال، محمد عادل**، صناعة المعادن وتجارتها في مملكة أوغاريت، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2018، ص 62.
- **السعد جودت**، أوهام التاريخ اليهودي، ط 2، منشورات الأهلية، عمّان 1998.
- **السوّاح، فراس**، آرام دمشق وإسرائيل، منشورات علاء الدين، دمشق 1995.

▪ **سوسة، أحمد**، العرب واليهود في التاريخ، ط 7، العربي للإعلام والنشر، دمشق 1978.

▪ **سليمان، عامر**، المعجم الأكادي، ج 1، ط 1، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1999.

▪ **الشامي، رشاد**، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 2007.

▪ **شنودة، زكي**، المجتمع اليهودي، (د. ط)، مكتبة الخانكي، مصر 1905.

▪ **طبارة، عبد الفتاح عفيف**، اليهود في القرآن، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت 1974.

▪ **طعيمة، صابر**، التاريخ اليهودي العام، ج 1، ط 3، دار الجيل، بيروت 1999 م

▪ **طه، حمدان**، أريحا عشرة آلاف سنة من الحضارة، وزارة الثقافة والآثار الفلسطينية، رام الله 2011.

▪ **عادل، إبراهيم**، ابتهال، اليهود في المصادر المسمارية، 1000–395 ق.م، منشورات علاء الدين، ط1، دمشق 2014.

▪ **عرابي، رجا عبد الحميد**، سفر التاريخ اليهودي، ط 1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق 2000.

- **فضل، حسن عباس،** القصص القرآني، (د. ط)، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر 1984.

- **قابلو، جباغ؛ سمير**، عماد، تاريخ الوطن العربي القديم، منشورات جامعة دمشق 2008.

- **محمد، محمد قاسم،** التناقض في تواريخ وأحداث التوراة " من آدم حتى سبي بابل"، جامعة قطر، الدوحة 1992.


**المراجع المترجمة**


- بريستد، جيمس هنري، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، تر: حسن كمال، ط 2، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996.

- جيفرز.ج. ن، فلسطين إليكم الحقيقة، تر: أحمد خليل الحاج، ج 1، الهيئة المصرية العامة للنشر، القاهر ة 1971.

- ريدفورد، دونالد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، تر: بيومي قنديل، ط2، المركز القومي للنشر، القاهرة 2006.

- **طومسون، توماس. ل،** التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، تر: صالح علي سوداح، ط 1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت 1995.

▪ **غلايكوفسكي، إيمانويل،** عصور في فوضى من الخروج إلى الملك اخناتون، تر: رفعت السيد، ط 1، دار سينا للنشر، القاهرة 1995.

▪ **فرويد سيغموند،** النبي موسى ورسالة التوحيد، تر: عبد المنعم الحفيني، ط 1، دار الرشاد، القاهرة 1991.

▪ **فنكلشتاين، إسرائيل، سيلبرمان، نيل أشير،** التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، تر: سعد رستم، صفحات للدراسة والنشر، دمشق 2006.

▪ **مالمات، ابراهام؛ تدمور، حاييم،** العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، تر: رشاد عبد الله الشلّي: ط 1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001.

**الموسوعات العربية والعالمية.**

▪ الموسوعة الفلسطينية، **معاوية، إبراهيم** "فلسطين عبر التاريخ"، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج 1، بيروت 1990.

## المراجع الأجنبية

**Albright. William Foxwell**, Yahweh and the Gods of cannan, The Athlone Press, London 1968.

**Dever. William Gwinn**, Beyond the Texts, An Archaeological Portrait of Ancient Israel and Judah, SBL Press, Atlanta 2017.

**Kenyon. Kathleen Mary**, Digging up Jerusalem, Ernest Benn, London, 1960.

**Kenyon. Kathleen Mary,** Royal Cities of the Old Testement, New york 1972.

**Sarna. Nahum Mattathias**, Israel in Egypt, prentice Hall, New jersey,1988.

**Speiser Ephraim Avigdor**, Genesis, The Anchor Bible Garden City, Doubleday, New York 1964.

**Stager Lawrence E**, Forging an Identity The Emergence of Ancient Israel, Oxford University Press, New York 1998.

**Wright. George Ernest**, The Biblical Archaeologist, Near Eastern Archaeology, The Westminster Press Magazine, Philadelphia, 1960.